ثقافة وأدب

① ملاحظات عن "مهرجان لايبزغ" للافلام الوثائقية

لينين خلف الكاميرا أم أمامها ؟

■ بقلم : قاسم حول ■

منذ اربعة عشر عاما ومهرجان لايبزغ للافلام الوثائقية ينعقد كل عام تحت شعار « افلام العالم من اجل سلام العالم » كتظاهرة لموجة الافلام الثورية وافلام سينمائيي المنظومة الاشتراكية وهذا المهرجان اضافة لما يطرحه من مضامين ثورية فانه ملتقى لعلاقات سينمائية جديدة وتبادل وجهات نظر المعنيين بشؤون السينما .

ولقد عرض في مهرجان هذا العام (٣١٤) فلما سينمائيا من (٣٨) بلدا والامم المتحدة والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وخلال هذا المهرجان اضيف عرض لآلات التصوير التلفزيونية (التلفزيون الملون) وكذلك اجهزة سينمائية وتلفزيونية اخرى . حضر هذا المهرجان (٨٨٨) مندوبا من ٣٨ بلدا .

ولان السينما الفلسطينية قد دخلت عالم المهرجانات لاول مرة بمبادرة من الجبهةالشعبية لتحرير فلسطين ، فلقد اشار الى ذلك مدير المهرجان السيد (هركنتال) مرتين خلال مؤتمره الصحفي الذي عقده في بداية المهرجان . كانت الافلام المعروضة ضمن هذهالتظاهرة السينمائية تتفاوت في جودتها تفاوتا ملحوظا ، لكنها رغمهذا التفاوت قد بقيت ضمن اطار الشعار المتبنى : (افلام العالم من اجل سلام العالم)

بعد ان القى مدير المهرجان (هركنتال) كلمته، وبعد ان رحب بالضيوف افتتح المهرجان بفلم هنوانه (انترناسيونال) اسهم في انجازه تاليفا (وسيناريو) ونصويرا وموسيقى ، جمعية من الفنانين السوفيات مجتمعين من (موسكيلم)

وكان هذا الفلم بالشاشة العريضة وبالصوت المجسم وحيث جزئت الشاشة الى مقاطع مختلفة غير متساوية تضمنت صورة كفاح الشعوب ونضالها من اجل عالم افضل ، عالم تسقط فيه كل اشكال المخاوف . ولقد كان اختيار الفلم للافتتاح جيدا ضمن اطار شعار المهرجان ، وكان تاكيدا سينمائيا لنضال الشعوب وصيرة السينما ضمن هذا الخط .

لقد عمل سينمائيو « موسكيلم » فلمهم هذا بمناسبة مرور مائة عام على كومونة باريس . وضمن دقائق الفلم الاربع والعشرين عاش المشاهدون انتصارات وانجازات باهرة لنضالات الطبقة العاملة

ثم توالى عرض افلام اليوم الاول فعرضت الافلام التالية :

● لينين يحيا - جيكوسلوفاكيا - اخراج كرستيان ذميك ، وكان بمناسبة مرور خمسين عاما على تاسيس الحزب الشيوعي التشيلي. الفلم ماخوذ من قصيدة لمايا كوفسكي تعبر عن افكار لينين .

● الفلاحة من مارس (المانيا الديمقراطية) - عن حياة فلاحة ترفض ان تفرزها الوسائل التكنيكية الحديثة وتتحدث عن قناعاتها في الحياة كما القتها .

● الثمن الذي كان على تشيلي ان تدفعه - ستوديو تشيلي - من اخراج (فرانسو بالاسيدا) بالاشتراك مع تسع من العاملين في السينما وهذا الفلم يصور كيف ان التاخر الاجتماعي والاقتصادي انما هو المخاض الطبيعي للهيمنة الامبريالية ، كما يوضح في ذات الوقت الطريق الذي تسير عليه تشيلي حاليا بقيادة الجبهة الوطنية .

● « لماذا ؟ » - انتاج مجموعة من الولايات المتحدة - من اخراج - ليس كالونا - وكان في اربع دقائق فقط وهو عبارة عن صور متحركة بالالوان وبدون تعليق ، حيث يعرض لنا عن طريقة الرسوم حياة الصغار ومن ثم تفتك بهم اسلحة الانظمة الراسمالية وحيث تفاجا بعدها بكادر يتساءل لماذا ، وهذا السؤال مطلوب من المشاهد نفسه الاجابة عليه .

● « كفاح من اجل التل » ٦٥٢ - (فيتنام الجنوبية) - انتاج ستوديو التحرير . مدته ٢١ دقيقة - وهو صور من كفاح شعب فيتنام الجنوبية وانتصاراته في مرتفع (كوكافا) .

● « هكذا نحن » - الاتحاد السوفياتي - انتاج الاستوديو المركزي للافلام الوثائقية - مدته عشر دقائق - ماخوذ من صور وثائقية فوتوغرافية (بالاسود والابيض حينا وبالالوان حينا اخر) ، وقد لعب فيه الوناج دورا اساسيا .

●

كانت افلام اليوم الاول مخيبة للامل على العموم وبشكل خاص (الفلاحة من مارس) . والمفروض ان تكون افلام الافتتاح في اليوم الاول، افلاما منتقاة ، ومع ان هذه الافلام كانت مرشحة للحماسة الذهبية والفضية ، الا ان تحقيقها للشعار المطروح قد كان الدافع الحقيقي للترشيح دون الاخذ بنظر الاعتبار المستوى التكنيكي لها.

صحيح اننا يجب ان نحقق في الفلم الوثائقي جملة من الوثائق التي تحقق هدفا اساسيا نريده لهذا الفلم او ذاك ، لكننا في ذات الوقت علينا ان ناخذ بعين الاعتبار الشكل والبناء السينمائيين اللذين بوفران للمشاهدين الحالة السينمائية التي تهيء تلقي هذه الوثائق ومتابعتها والتوصل في النهاية الى الفكرة الاساسية التي يطرحها الفلم الوثائقي .

احيانا يستطيع فلم بدقيقة واحدة ان يختصر لنا موضوعا كبيرا وفكرة مهمة لا يستطيع ان يحققها فلم بساعة او باكثر وهنا تاتي اهمية اللغة السينمائية، فالسينما هي عملية اختزال حياتية وعملية تكثيف لهذه الحياة وصبها في اطار جميل ومشوق هو اطار الفلم السينمائي وهذا ما حققه فلم (لماذا ؟) وما عجز عن تحقيقه فلم (فلاحة من مارس) ، الذي امتلا بالريبورتاج والصور المكررة الملاحقة .

نحن اذ نتحدث هنا لا ناخذ بعين الاعتبار ما رشح من الافلام للمسابقة وما حرم منها ، فقد تكون هناك اعتبارات سياسية لهذا الترشيح انما نتحدث عن علاقة هذه الافلام بجمهور المشاهدين وما استطاعت ان تحققه بالتاثير عليهم . نحن نريد من الفلم السينمائي (اي فلم) نريد بالتاكيد ان يتناول موضوعا يهم الجماهير التي تواصل نضالها ضمن ظروفها القاسية والصعبة ، ونريد سينما تفضح تازمات وتناقضات واستغلال المجتمعات الراسمالية وتؤكد الهدف الامثل للحياة الاشتراكية ، ولكن بنفس الوقت لا نريد هذا ان ياتي ضمن افلام متعبة تعتقر الى ابسط مقومات العمل السينمائي في علاقاته بالمشاهد الا وهي التشويق ضمن الوضوح الفكري والبناء الفلمي .

هناك نوعان من الافلام عرضت في المهرجان. النوع الاول كان فيها (لينين) يقف امام الكاميرا ، والنوع الثاني كان فيها لينين يقف خلف الكاميرا . من السهولة جدا، ان نضع لينين امام الكاميرا ، ولكن الصعوبة تكمن في ان نجعل لينين يقف خلف الكاميرا الى جانب المخرج.

ان نضع (لينين) امام الكاميرا ذلك يعني اننا نصور شكله الخارجي ، لكن ان نقف لينين الى جانب المخرج ذلك يعني انك تستلهم موضوعاتك من خلال ذهنيته العظيمة .

نحن هنا لا نبدي ملاحظاتنا الموجزة عن افلام المهرجان الكثيرة فاننا حرصا منا على ان نتصاعد هذا المهرجان لا ان يتضاءل لما يحمله من اهمية فكرية ومن امكانات دفع الفلم الوثائقي نحو كل مواقع الثوارات وكل مواقع حركات التحرر ، وقبلا قال « هو شي منه » : « الى جانب الكفاح يجب ان نتعلم كيف نغني » .

« في العدد القادم - ارضي محتلة - الفلم الذي ربح الجمهور والنقاد وخسر الجائزة »

مؤتمر الادباء العرب في دمشق

.. مخجل وغير مبرر !

عقد في الفترة من ١١ - ١٥ من كانون الاول مؤتمر الادباء العرب الثامن في دمشق ، وقد بدا المؤتمر وانتهى تحت شعار « الادب العربي المعاصر ومعركة المصير » وقد اريد لهذا المؤتمر بعد المزيد من التاجيل والتاخر ان يكون « مغايرا للمؤتمرات السابقة شكلا وتنظيما فهو من جهة فكري ومن جهة مقابلة مصري كذلك » وهو يعقد في ظروف بالغة التعقيد ودقيقة كما يقول الذين حضروا المؤتمر ، وهو ينصرف الى بحث امور مهمة وصعبة ، فقد وضع المؤتمر اربع نقاط لتكون محور البحث هي : « الادب العربي والحرية ، الادب العربي والسلطة، الادب العربي والالتزام، الادب العربي والجماهير »

وهذه النقاط بما تنطوي عليه من جدية وما يتفرع عنها خاصة النقطتين : الحرية والادب والسلطة - تملك القدرة على نسف مؤتمر اكبر من المؤتمر الثامن لو توفرت الجدية ، لانها اذا توخت ان تكون جدية ثورية في التزام تاريخية وانسانية البحث فانها ستصطدم وحتما بالسلطة وستصطدم بالحرية، وبصبح مثالنا الحديث عن الحرية والالتزام وبصبح ضربا من الكذب والدعابة الهزلية الحديث عن الادب والسلطة دون تحديد موقف واضح وصريح من هذا ، وهذا نسحب الى موضوع اكثر شمولية هو الحديث عن الانسان العربي في ضوء ما عنده ، محكوما وموضوعا تحت شرط الانظمة التي لم تسهم في اختيارها والتي تفرض الدعابة واسلوب الحديث على الانسان العربي والادب الذي يحاول ان يكون طرفا اكثر اهمية والتر خصوصية في موضوع موقعه من الحرية والالتزام والسلطة ومعركة المصير التي تبدو واضحة واكبر من حجم كل المواضيع المطروحة للنقاش والجدل (ومن المحسن الشعر بان الكلمات لا تستطيع ان تتحول الى خبز ودواء وبيت ،

لذا فمن واجب الادباء البحث عن وسائل تتيح لهم تحويل الاقوال الى افعال ومن البديهي ان تحويل الاقوال الى افعال مهمة شاقة دون ريب ، وتتطلب كفاحا يوميا صارما ضد واقع متخلف معتد بجهله) .

في ضوء هذا الكلام ، كيف كان مؤتمر الادباء الثامن ومهرجان الشعر العاشر ..؟ ان ما حدث وما تفرع عن المؤتمر ومن خلال الوجوه والاصوات التي قرات بحونا وشعرا وراست جلسات هل يمكن الاستدلال الى حقيقة الشعور المتفائل بالنجاح وتحول الادب العربي الى مكافح يومي وصارم من اجل الحرية والحسم مع السلطة وتحويل الكلمة الى خبز وماوى ودواء .. الخ .

كلا تقول الوقائع .. وكلا تقول تركيبة المؤتمر وافكار الحاضرين والتزاماتهم الايديولوجية . فالذين وقفوا على المنصة وخطبوا بحماس مضحك ومخيف كانوا يقولون ان عصر الخطابة والحماس الكلامي انتهى ، والذين وقفوا ونددوا بالوضع العربي مستثنين بعض الانظمة وبعض الاوضاع كانوا اشبه باشرطة التسجيل وكانوا موقنين والذين لم يسافروا الى بيروت فضلوا البقاء داخل غرفهم في الفنادق الممتازة حيث الدفء وعدم المشاركة بهراء الكلام .

ان مؤتمر الادباء العرب الثامن ومهرجان الشعر العاشر الذي عقد في دمشق مؤخرا مخجل وكان الافضل منه ان لا ينعقد والحديث عن المؤتمر لا يستطيع ان يسلك التفاؤل بمستقبل نظيف للادب والادبب العربي من خلال الواقع الذي يعيشه الانسان العربي ، ان نقاط البحث كبيرة ونعجزية لانها تفرض صيغا من الخوف تتبناها كل الرؤوس التي تريد ان تبقى وتحافظ على امتيازاتها . واخيرا : ما هي ايجابيات المؤتمر ، انها بالنسبة للرداءة والاخطاء فير موجودة . وينبغي الاشارة الى ان شباب جامعة دمشق واتحاد طلاب سوريا ، نظموا مهرجانا شعريا قريب من مكان شعر المؤتمر وشارك فيه الشاعر العراقي سعدي يوسف بقصيدة جديدة كتب لمهرجان الشعر وفضل قراءتها للطلبة وكذلك فعل الشاعران السوريان ممدوح عدوان وعلي الجندي .

لقد كان مهرجان الطلاب اثر شرفا وجدية من مؤتمر الادباء الثامن ومهرجانه الشعري العاشر .

« الهدف »

البحث عن خان ايوب

في حي الميدان بدمشق

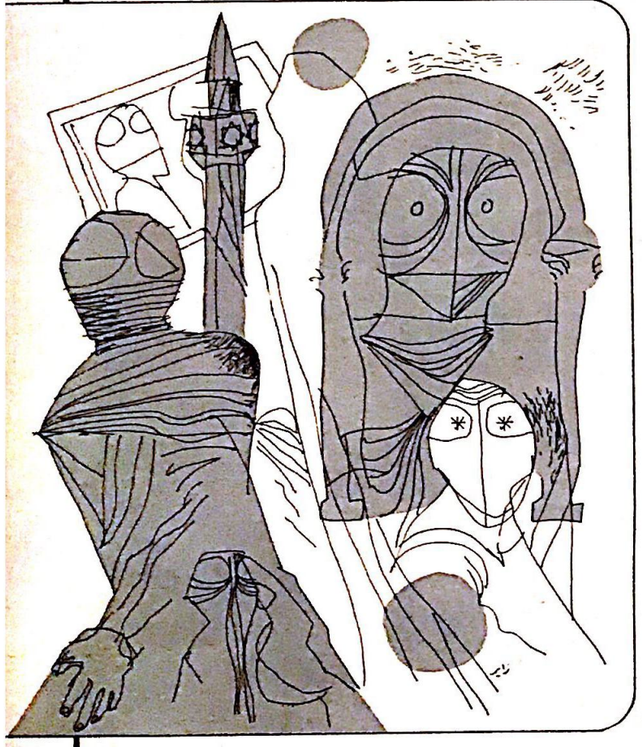

تساءلت حيث دخلت المدينة عن خان ايوب،
ما دلني احد ،
فالتفت ببعضي ، ونمت :
كان وجه المدينة ازرق ...
اشجارها تستطيل وتكبو ، ولكنها تستطيل لتكبو ، وثالثة تستطيل
وكانت منائرها خزفا مغربيا ،
وبحرا محيطا ازقتها ،
تتقافز منه الوجوه التي ترتدي غربها ...
كان بين العراق وبيني رمل الجزيرة،
قلت : انتهيت ...
ولكنني حين فتحت عيني ابصرت عينيك ...
ان السماء
تظل - كعينيك - زرقاء
انك في الشجر - الوهم ، والوخز،
بيتي ومكتبتي ،
والسبيل الى سفح سنجار ؛
لملمت بعضي وسرت ...

●

لماذا يراني جنود الخليفة شخصا غريبا؟
لاني تحدثت في السوق عما وراء النهر؟

●

يقول لي السوق شيئا ، يقول لي الشوق شيئا ،
فاقسم بين اثنتين القميص الذي ورث
الفتن الداخلية
والكتب المستباحة ...
اقسم بين اثنتين الشفاه التي تتناول،
والجامع الاموي الذي يتناول ...
اقسم بين اثنتين الاله .

●

ولكنني للعشق، المدينة والجرح، امنح
نار التوحد ،
اعلن في الصحف المشتراة
وفي الصحف المشتهاة بيان الذين راوا
وجها قبل ان يولدوا ،
والذين يريدونها امرأة تتزاوج فيها
الشهادة والماء ،
بين الشهادة عشرون ميلا وبين دمشق
وعشرة الاف ميل تناءت دمشق
واشجارها عن دمشق .

●

مضى زمن كانت الارض فيه تدور على نفسها ،
واتى زمن العاشقين الذين اذا دارت
الارض ماتوا ،
او اجترحوا الرفض كي يوقفوها .

●

مضى زمن كانت البندقية فيه التغرد
والحل ،
انا على رقعة لا تهاجر فيها الخيول

●

مضى زمن كانت المدن العربية فيه ثغورا ...
لقد جاءنا زمن المدن المصرفية .

●

يراقبني الليل ...
اعمدة الجامع الاموي العتيقة
تراقبني ...
وتدور الازقة بي ، وتدور المنازل خلف « الحريقة »
الى حيث ينفرد الظل بي، والمياه العميقة
واسمع بين الفصون التي ازرقت الارض
الارض منها ، ورفئت
انا الطنابر
انا الصوت ، والجدول النافر
انا ابن الاله الدمشقي ...
اني انتظرتك عاما فعاما ...
وعاما فعاما هجرتك ،
لكنني العاشق الفرد .
- هل نتحدث وقتا قصيرا ؟
- الا تجلس ؟
هنالك مقهى ، كراسيه سعف ، كان
يرتاده القدميون
والهاربون ومن يصنعون القنابل سرية،
لو دت
لو اني آتيك منه بفنجان قهوة .
ولكنني - ان اردت الحقيقة - اخجل
من بعض رواده ،
فلنقل ما نشاء هنا ... انني قاتل
ما تقول .

●

تفتح لي خان ايوب ،
ما دلني احد ،
غير اني دخلت ...
وبين حديقته والدهاليز ابصرتهم
يصنعون القنابل...
انهم اخوتي ، يرسمون دمشق على
هضبة الله والاحتلال
انهم اخوتي، يرسمون على النهر اعمدة
الجامع الاموي جسورا
جسورا
جسورا
جسورا
جسورا
وقد ينسفون الجسور
الى الناصرة .

●

ساسكن في خان ايوب ،
ما دلني احد ،
غير اني اهتديت

دمشق
١٩٧١/١٢/١١